المحاضرة 02:

النشأة والتطور 02:

نشأة الأدب المقارن وتطوره

1- الإرهاصات والممهدات:

إن البحث في جذور الأدب المقارن، وإرهاصاته الأولى يفرض علينا الاطلاع على الظروف العامة والعوامل التي أسهمت في ميلاده؛ ويمكن القول في هذا الصدد بأن القرن الثامن عشر كان حافلا بالتغيرات والأحداث التي مهدت الطريق لظهور الأدب المقارن، وأسست له ليتبلور في شكل كامل كعلم مستقل له كيانه المستقل .

وقد أسهمت في ذلك عدة عوامل أهمها :

– توثق الصلات الثقافية بين الشعوب الأوروبية وتكثف الاتصالات الأدبية، وبمعنى أدق اتساع الآفاق الأدبية بواسطة الترجمات والرحلات والمجلات والراسلات... إلخ.

ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى انفتاح فرنسا على الأدبين الانجليزي والألماني ولم تعد الأذهان والأنظار مقتصرة فقط على الأدبين الإيطالي والاسباني.

–النزعة الإنسانية العالمية؛ حيث وجهت الترجمة الأدب وجهة إنسانية عالمية وأخرجته من عزلته فأصبح الإبداع الأدبي تجربة مشتركة لا تقتصر على أدب دون أدب آخر، وقد لمعت عدة أسماء بشرت بالروح العالمية في مجال الثقافة والأدب مثل : فولتار وروسو وغوته...الخ

–تطور الاتجاه الرومانسي الذي جاء ثائرا على كل ما أتت به الكلاسيكية، والذي ظهر كنتيجة حتمية للتحولات الكبرى التي عرفتها أوربا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر مثل الثورة الفرنسية وما أتت به من مفاهيم جديدة كالحرية والديمقراطية وحقوق الانسان الخ.

– تأثير المناهج العلمية على الدراسات الأدبية من خلال انتشار المقارنات العلمية بين الأمم ومحاولة العلماء الاستفادة مما وصل إليه التطور العلمي خارج حدود بلدانهم مما نشأ عنه فروع جديدة من المعرفة تعتمد على المقارنة.

2- المحاولات الأولى والبدايات :

يوصف القرن الثامن عشر بقرن التاريخ ؛ لأنه شهد ازدهار علم التاريخ الذي برع فيه ثلة من المؤرخين الذين تركوا بصمتهم في تلك الفترة من أمثال : ادقار كينيه، وأوغستين تييري Augustin thierry. وظهور الرواية التاريخية على يد الكاتب والشاعر الأسكتلندي ولتر سكوت Walter scott، والفرنسي الكسندر دوماس. حيث تميزت الساحة الثقافية آنذاك بحب الاطلاع على كل ما هو قديم، فأصبح التاريخ الأدبي فضاء أوسع وأرحب مما كان عليه، "وصار التأريخ للآداب بحثا دقيقا وشاملا في منهجه وموضوعه يهتم بإنتاج عقول المبدعين في لغاتهم المختلفة على مر العصور، وكان من الطبيعي أن يساعد ذلك الانتعاش الفكري في الجانب التاريخي على ظهور الدراسات الأدبية المقارنة".

إن تتبع النشأة الأولى للأدب المقارن بوصفه علما حديثا يحتم علينا أن نشير إلى أن البذرة الأولى لهذه النشأة كانت في كتاب "عن ألمانيا" لمدام دوستايل سنة 1810م ، الذي طغت عليه روح الموقف التبادلي المنفتح بين ألمانيا وفرنسان وكانت فيه دعوة واضحة إلى الاحتكاك بالآخر والانفتاح عليه.

أما فضل السبق في استعمال مصطلح "الأدب المقارن" لأول مرة، فيعود إلى فرنسوا نويل سنة 1816م في دروس موجهة لتلاميذ الثانوية الفرنسية ، وكانت عبارة عن نصوص مختارة من أربعة آداب أوربية بدون أي مقارنة.

لكن المقارنة الحقيقية بدأت مع أبال فيلمان عندما استهل دروسه الجامعية حول الآداب العالمية بموضوع عالج فيه "تأثير أدباء القرن التاسع عشر الفرنسيين في الآداب الأجنبية وفي الفكر الأوربي" سنة 1829م.

3- مرحلة التأسيس والتطور:

ثم ظهرت عدة أسماء اهتمت بالأدب المقارن، وتركت بصمتها من خلال ما قدمته من أعمال أسهمت في تطور الدراسات المقارنة من أمثال :

-جان جاك أمبيير الذي ألقى سنة 1830م محاضرات عن الأدب الفرنسي وعلاقته بالآداب الأخرى في العصور الوسطى.

-وفيلاريت شال الذي نشر عدة مقالات عن العلاقات بين الآداب الأوربية، وذلك سنة 1845م

ومع نهايةالأربعينيات صار الأدب المقارن أمرا مفروضا بعد أن نشطت فيه حركة التأليف، وظهرت عدة مؤلفات عالجت مسائل التأثير والتأثر بين الآداب الأوربية مثل :

ويمكن القول إن الأدب المقارن قد دخل في مرحلة الوقوف على رجليه بثبات وعزم في الفترة الممتدة من عام 1860 إلى 1885م. وعلاوة على حركة النشر والتأليف التي عرفت نشاطا كبيرا في تلك الفترة، فتحت دروس خاصة بالأدب المقارن في الجامعات الفرنسية وغير الفرنسية مما أسهم في تطوره، ونضجه.

ثم برزت جهود كل من :

- جوزيف تكست Texte.
- لويس بتز Bates.
- فرناند بلدنسبرغر Baldensperger.
- بول فان تيغم Paul van tieghem.